وليمة الفصح والعشاء الأخير

بين الأب متى المسكين والأنبا شنودة

الجزء الثاني

بحثنا السابق لا يمكن أن نعتبره مكتملا قبل أن نشرح التوافق بين الأناجيل الأربعة فيما ورد بها عن عشاء الرب وعلاقته بالفصح اليهودي. فما ورد بالأناجيل الثلاثة عن موعد عشاء الرب يبدو مناقضا لما جاء بإنجيل يوحنا:

في إنجيل متى: "**وفي أول أيام الفطير** تقدم التلاميذ إلى يسوع قائلين له أين تريد أن نعد لك لتأكل الفصح." **(مت ٢٦:١٧)**

في إنجيل مرقس: "**وفي اليوم الأول من الفطير حين كانوا يذبحون الفصح** قال له تلاميذه أين تريد أن نمضي ونعد لنأكل الفصح." (مر ١٤: ١٢).

في إنجيل لوقا: "**وجاء يوم الفطير الذي كان ينبغي أن يذبح فيه الفصح**." (لو ٢٢:٧)

أما إنجيل يوحنا فيذكر أمرا يبدو مخالفا لما كتبه الإنجيليون الثلاثة: "**أما يسوع قبل عيد الفصح وهو عالم أن ساعته قد جاءت لينتقل من هذا العالم... فحين كان العشاء...**" (يو ١٣: ١، ٢).

وقبل أن نوضح سبب هذا الخلاف الشكلي بين الأناجيل يلزم أن نؤكد أن لغة الإنجيليين الثلاثة بشكلها لا يمكن بأي حال أن تؤيد رأي أبونا شنودة ماهر المدافع عن الأنبا شنودة. **فلا يمكن للسيد المسيح مخالفة الناموس بأكل خبزا مع الفصح. كما لا يمكن أن يؤجل اليهود موعد عيد الفصح للقبض على يسوع!!!** فكلا الفرضين اللازمين للدفاع عن الأنبا شنودة للحفاظ على طقس الكنيسة القبطية كلاهما مرفوضين تماما وليس لهما أي أساس إنجيلي، كما أوضحنا في الجزء الأول من المقال.

كيف يمكن أن نفهم الأناجيل الثلاثة، متى ومرقس ولوقا على ضوء إنجيل يوحنا

القديس يوحنا كتب إنجيله في أواخر القرن الأول بعد أن كانت الأناجيل الثلاثة قد انتشرت ومعروفة في مواقع كثيرة من الأرض. لم يكن هدف يوحنا من إنجيله هو تكرار ما كتبه الإنجيليون الثلاثة لكن كان الهدف أن يذكر الأحداث الهامة التي أغفلوها، مثل دعوة التلاميذ الأول، والتركيز على خدمة السيد المسيح في أورشليم،.. ألخ. كما قصد أن يقوم بتوضيح ما غمض في الأناجيل الثلاثة ومنها موضوعنا عن وقت العشاء. لم يقصد القديس يوحنا أن يعارض الأناجيل الثلاثة أو يأتي برأي مغاير بل أن يوضح بعض الأمور التي كتبت بحسب المفهوم في موقع كتابتها لكنها صارت غامضة عندما انتشرت في كل الأرض. لذلك فنص إنجيل يوحنا هو الذي يعول عليه علماء الكتاب، وتمسك به آباء الكنيسة. لا يعني ذلك أن باقي الأناجيل بها أي خطأ كما سنوضح فيما يلي:

إنجيل مرقس
"وفي اليوم الأول من الفطير حين كانوا يذبحون الفصح قال له تلاميذه أين تريد أن نمضي ونعد لنأكل الفصح." (مر ١٤: ١٢).

في حديث إنجيل مرقس هنالك أمر يحتاج لتوضيح فاليوم الأول من الفطير بحسب ما جاء بسفري الخروج واللاويين لا يذبح فيه الفصح، بل يذبح الفصح في عيد الفصح وهو اليوم السابق على اليوم الأول للفطير. فبينما في عيد الفصح يوم ١٤ نيسان يتم ذبح الخروف ونزع الخمير بتنظيف البيوت تماما. فأول أيام الفطير هو يوم ١٥ نيسان يعتبر سبتا للرب ولا يجوز العمل فيه، "ويكون لكم في اليوم الأول محفل مقدس وفي اليوم السابع محفل مقدس **لا يعمل فيهما عمل ما إلا ما تأكله كل نفس فذلك وحده يعمل منكم**" (خر ١٢:١٦).

الغموض الوارد في الأناجيل الثلاثة يشرحه العالم اليهودي المتنصر "ألفريد إدرشيم Alfred Edersheim" فيقول:

> **[*The cycle of Temple-festivals appropriately opens with 'the Passover' and 'Feast of Unleavened Bread.' For, properly speaking, these two are quite distinct (Lev. 23:5, 6; Num. 28:16,17; 2 Chron. 30:15, 21; Ezra 6:19, 22; Mark 14:1), the 'Passover' taking place on the 14th of Nisan, and the 'Feast of Unleavened Bread' commencing on the 15th, and lasting for seven days, to the 21st of the month (Exod. 12:15). But from their close connection they are generally treated as one, both in the Old and in the New Testament (Matt. 26:17; Mark 14:12; Luke 22:1); and Josephus, on one occasion, even describes it as 'a feast for eight days' (Antiq. 2.317; but comp. 3.249: 9.271).*]**[1]

وبهذا الشرح الواضح فإن عبارة "أيام الفطير" في زمن السيد المسيح كانت تعني ثمانية أيام الاحتفال الفصحي، حيث اليوم الأول منها هو يوم الفصح ١٤ نيسان الذي يتم فيه ذبح الخروف ويتم فيه تنظيف وتطهير البيت من الخمير، كما أيضا تشمل سبعة أيام الفطير التالية التي تعتبر عيدا قائما بذاته غير عيد الفصح. وذلك يشرح عبارة إنجيل مرقس، "وفي اليوم الأول من الفطير حين كانوا يذبحون الفصح". هذه العبارة تتناقض مع مفهوم "أيام الفطير" كما ورد في العهد القديم حيث "أيام الفطير" تعني فقط السبعة أيام التي تبدأ يوم ١٥ نيسان. فأول أيام الفطير هو يوم العيد أو السبت أي يوم ١٥ نيسان الذي لا يعمل فيه عملا سوى أكل الفصح. فتبدأ وليمة الفصح عند غروب يوم ١٤ أي عشية يوم ١٥ علما بأن اليوم في التقليد الشرقي يبدأ عند الغروب. ففي العام الذي صلب فيه السيد المسيح بدأ يوم الفصح بغروب شمس يوم الخميس ١٣ نيسان واستمر حتى غروب شمس يوم الجمعة ١٤ نيسان أي يوم الصليب. أما عيد الفطير الذي هو سبت للرب -أي يعامل نفس معاملة يوم السبت ولا يجوز فيه العمل- فبدأ عند غروب شمس الجمعة واستمر طيلة يوم السبت حتى الغروب. معنى ذلك أنه في تلك السنة كان سبت أيام الفطير يوافق يوم السبت الأسبوعي، لذلك يلقب "بالسبت العظيم" كما ورد في إنجيل يوحنا (يو ١٩:٣١).

وبالمثل يمكن فهم ما قاله كل من متى ولوقا عن موعد العشاء الأخير على ضوء شرح العالم "ألفريد إدرشيم":

"**وفي أول أيام الفطير** تقدم التلاميذ إلى يسوع قائلين له أين تريد أن نعد لك لتأكل الفصح." (مت ٢٦:١٧)

"**وجاء يوم الفطير الذي كان ينبغي أن يذبح فيه الفصح**." (لو ٢٢:٧)

فأول أيام الفطير أو "يوم الفطير"، المذكورة في الأناجيل الثلاثة لا تعني المفهوم الكتابي لها لكنها تعني المفهوم المستخدم عند اليهود. وتوجد كثير من الكتابات اليهودية الأخرى (غير المرجع السابق)[2] توضح أنه حتى اليوم عبارة "أيام الفطير" تعني الفصح وأيام الفطير الثمانية معا تحت عيد واحد له نفس الاسم سواء يسمى عيد الفصح أو أيام الفطير، دون تفرقة بينهما. ولذلك نري أن هناك اسم آخر استخدم لعيد الفصح للتفرقة بينه وبين أيام الفطير وهو "الاستعداد". بينما عبارة أيام الفطير أصبحت تشمل الاستعداد وأيام الفطير السبعة الأساسية معا.

لذلك نجد أن إنجيل يوحنا الذي كتب في أواخر القرن الأول بعد كتابة كل الأناجيل وانتشار المسيحية، أدرك صعوبة فهم توقيتات العشاء الأخير وأحداث الصلب والقيامة في الأناجيل الثلاثة حيث ذكرت في عبارات حسب

---

[1] Alfred Edersheim**:** "*The Temple Its Ministry and Servicieses*",Hendrickson Inc. Updated Fifth Edition,2002, Chapter 11, p.p. 162

[2] Howard & Rosenthal: "*The Feasts of the Lord*" 1977 USA p.p. 50

المفهوم السائد في الدائرة اليهودية. لذلك فإنجيل يوحنا الذي كتب في الآخر، قام بتوضيح ما غمض في الأناجيل الثلاثة. لذلك فإنجيل يوحنا هو الأكثر وضوحا في ذكر توقيتات العشاء الأخير وأحداث الصلب والقيامة، فعند ذكر موعد عشاء الرب يقول، "**أما يسوع قبل عيد الفصح** ..." (يو ١٣:١). لذلك فهذا التوقيت هو الذي يعول عليه كل علماء الكتاب المقدس، كما تعتبره كل الكنائس الأرثوذكسية بما في ذلك الكنيسة القبطية الأساس التي تبنى عليه عقيدتها وطقوسها وتوقيتات أسبوع الفصح والقيامة والخماسين.

ليس معنى ذلك أن الأناجيل الثلاثة قصرت عن توضيح توقيتات الفصح والصليب والقيامة أو أنها تعارضت بأي شكل مع ما ذكره القديس يوحنا من توقيتات. فبمتابعة الأحداث في كل الأناجيل تظهر أن كل توقيتات أحداث الصليب والقيامة المذكورة في الأربعة أناجيل متماثلة. ولعل عبارة يوم الاستعداد والسبت التي ذكرت في الأناجيل الأربعة توجد حالة من التوافق الكامل بين الأناجيل الأربعة.

أجمعت الأناجيل الأربعة أن السيد المسيح قد صلب في يوم الاستعداد أي في يوم ذبح خروف الفصح. (أنظر مت ٢٧:٦٢، مر ١٥:٤٢، لو ٢٣:٥٤، يو ١٩:١٤، يو ١٩:٣١). كما أجمعت الأناجيل الأربعة أن السبت الذي هو أول أيام الفطير حيث يؤكل الفصح كان يلوح عند دفن المخلص "وكان يوم الاستعداد والسبت يلوح" (لو ٢٣:٥٤) معنى ذلك أن السيد المسيح قد عمل العشاء الأخير في الليلة السابقة على أكل الفصح كما يقول القديس يوحنا بوضوح **"أما يسوع قبل عيد الفصح"**. وبذلك فالأناجيل الأربعة تتفق على موعد العشاء الأخير وأن المسيح قد صلب ساعة ذبح الخروف وكما يقول القديس بولس، **"إذا نقوا منكم الخميرة العتيقة لكي تكونوا عجينا جديدا كما أنتم فطير لأن فصحنا أيضا المسيح قد ذبح لأجلنا"** (١كو ٥:٧). فالثلاثة أناجيل عبرت عن نفس التوقيت لكن بأسلوب آخر مفهوم لليهود لكنه غير مفهوم لقارئ العهد القديم من غير اليهود.

ونرى في كل أحداث ليلة ويوم الصليب كما وردت بالأناجيل الثلاثة ما ينفي تماما أن أحداث الصلب قد تمت بعد أكل الفصح حين يبدأ سبت العيد وحيث لا ينبغي القيام بأي عمل حسب الناموس. فهل يمكن لمجمع السنهدريم أن يجتمع ويقوم بمحاكمة السيد المسيح في وقت أو بعد أكل الفصح؟!!! ثم يستمر طوال ليلة الاحتفال بالعشاء الفصحي وحتى الصباح في محاكمة وتعذيب السيد المسيح؟!!! وهل ممكن في صباح سبت العيد أن يتركوا العيد ليسلموا السيد المسيح لبيلاطس؟!!! وهل مكمن أن يتجمع الشعب أمام بيلاطس بهذه الأعداد الغفيرة في ذلك اليوم؟!!! بل وإنجيل مرقس يذكر أمرا هاما ينفي كل ذلك " فسخروا رجلا مجتازا **كان آتيا من الحقل وهو سمعان القيرواني** أبو الكسندرس وروفس ليحمل صليبه" (مر ١٥:٢١). فسمعان القيراواني كان آتيا من الحقل أي أن ذلك اليوم كان يوم عمل وليس يوم سبت العيد الذي يلي ليلة وليمة الفصح حيث ممنوع القيام بأي عمل حسب الناموس. وبذلك نرى الاتفاق الكامل بين الأناجيل في التوقيتات المختلفة بما في ذلك توقيت العشاء الأخير.

وهناك سؤال آخر هام فإن كان العشاء الأخير للسيد المسيح لم يكن في وقت وليمة الفصح حسب الطقس اليهودي فلماذا يدعوه السيد المسيح فصحا، بحسب ما ورد في الأناجيل؟ بل وأيضا وصف ذلك العشاء بحسب ما ورد في الأناجيل الأربعة يوضح أن فيه قد تم ممارسة كل طقوس الفصح التقليدية بكل تفاصيلها ما عدا الخروف الذي كان غائبا فلم يذكر عنه أي شيء.

"فقال اذهبوا إلى المدينة إلى فلان و قولوا له المعلم يقول إن وقتي قريب عندك أصنع الفصح مع تلاميذي." (مت ٢٦: ١٨).
"وفي اليوم الأول من الفطير حين كانوا يذبحون الفصح قال له تلاميذه أين **تريد أن نمضي ونعد لتأكل الفصح**" (مر ١٤: ١٢).
"وحيثما يدخل فقولا لرب البيت أن المعلم يقول أين المنزل **حيث آكل الفصح مع تلاميذي** (مر ١٤:١٤).
"فأرسل بطرس ويوحنا قائلا **اذهبا وأعدا لنا الفصح لنأكل**" (لو ٢٢: ٨).
"**وقال لهم شهوة اشتهيت أن آكل هذا الفصح معكم قبل أن أتألم** (لو ٢٢: ١٥).

يلزم أولا أن نعرف أن هذا العشاء قد تم بعد غروب يوم الخميس ١٣ نيسان، وبحسب التقويم الشرقي يبدأ اليوم عند غروب الشمس وبذلك فالعشاء الأخير كان في عشية يوم ١٤ نيسان الذي يعتبر عيد الفصح. ولكن في مثل هذا العشاء يقدم الخبز المختمر حيث لم يكن قد رفع الخمير بعد من البيوت والذي يتم في صباح اليوم التالي.

أما كون العشاء هو فصحا، فعشاء الفصح الأصلي كان رمزا وظلا للحقيقة التي تحققت في هذا العشاء. "وفي الغد نظر يوحنا يسوع مقبلا إليه فقال هوذا حمل الله الذي يرفع خطية العالم" (يو ١:٢٩). إذا كان المسيح قد دخل أورشليم ليوضع تحت الحفظ إلى اليوم الرابع عشر لأنه فصحنا الجديد فهل نتعجب عندما يقيم عشاء فصحه الخاص الذي يقدم فيه جسده فصحا ومأكلا حق ودمه للعهد الجديد لمغفرة الخطية. هل يمكن أن نتساءل عن طبيعة هذا العشاء إن كان فصحيا أم لا؟!!! لقد كان السيد المسيح نفسه هو ذبيحة ذلك العشاء الذي كان موضوع كل النبوات فيقول زكريا، "وأنت أيضا فأني بدم عهدك قد أطلقت أسراك من الجب الذي ليس فيه ماء" (زك ٩: ١١)

وبعد هذا العرض يلزم العودة لحديث الأب شنودة ماهر، الذي قد استشهد بآيات الأناجيل الثلاثة (متى ومرقس ولوقا) بشكل مخادع ليثبت أن السيد المسيح قد أقام العشاء في وقت الفصح اليهودي، ليقنع سامعيه بصحة ما قاله الأنبا شنودة، معتمدا على عمق وصعوبة الموضوع وعدم معرفة الكثيرين له. ولكن كيف له أن يبرهن على مصداقيته أمام ما جاء بالأناجيل الأربعة عن يوم الاستعداد والسبت والتوقيتات الثابتة التي تتفق تماما معا مقولات إنجيل يوحنا الواضحة؟!!!

خطورة الموضوع ليست في القضية ذاتها فهناك قضايا لاهوتية أكثر خطورة بما لا يقاس، لكن الخطورة في الأمانة في تسليم التعليم المستقيم، ومسئولية إنسان يتجاسر ليسلم تعليم يعرف أنه مزيف لغرض ما. وأن هذا يحدث اليوم في الكنيسة القبطية على أرفع مستوي ليس فقط تعليمي بل وروحي!!! إنها جريمة ومحنة كبرى تمر بها الكنيسة القبطية الأمينة والمؤتمنة على الإيمان المسلم مرة للقديسين. ماذا تركنا لشهود يهوى؟!!!

لقد كنت أربأ بالأب شنودة ماهر أن يتهاوى لهذا المستوى. فإن كان هذا حال من ظننا فيهم الآباء الروحانيين للكنيسة فما هو المصير إلا الخراب "هوذا بيتكم يترك لكم خرابا (مت ٢٣:٣٨). كنت أتوقع للأب شنودة ماهر مع بعض الأمثلة القليلة مثل الأنبا موسى والأب تادرس ملطي أن يكونوا أوتادا في الكنيسة يضبطون حراكها ويقومون انحرافها ويقيمون خوارها ويكفكفون مدامعها ويخففون مواجعها ويرشدون طريقها نحو الحق والبر وسر المصالحة. فإذ بالأنبا موسي يتهاوى فيكشف لنا عن وجه آخر لم نعرفه. وها اليوم أبونا شنودة ماهر يتبعه فيكشف حديثه عن فكر متحزب جانح نحو أغراض بعيدة عن حق المسيح. لذلك يقول لنا المسيح إن كانت عينك شريرة فجسدك كله يكون مظلما فإن كان النور الذي فيك ظلاما فالظلام كم يكون" (مت ٦:٢٣). فإن كان هذا هو حال معلمي الكنيسة المدعوين روحانيين فماذا تركوا لأمثال عبد المسيح بسيط وكاهن المعلقة !!!

لجنة الدفاع عن الأرثوذكسية في الكنيسة القبطية